- **قضايا ثقافية معاصرة - المحاضرة العاشرة**
- **القومية والعنصرية**

- **مقدمة**

- **تعد القومية والعنصرية من أهم النزعات الاجتماعية التي ربطت الإنسان منذ القدم بجماعته**
- اعتز بالانتماء إليها، وحمايتها، والذب عنها بنفسه وماله
- أخلص الولاء لها، والخضوع لمبادئها وتقاليدها دون قيد أو شرط
- **تبعها تبعية مطلقة دون إعمال لعقل أو قيمة من القيم،**
- أنها من أشد النزعات التي أثارت الكراهية والبغضاء بين الناس،
- أهدرت حقوق الإنسان ، وصادرت كرامته وحريته، وحرمته من العلاقات الإنسانية الكريمة القائمة على المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية

مفهوم القومية والعنصرية :

1- في اللغة :	**2- في الاصطلاح :**
أ- القومية : من القوم ، وهم الجماعة من الناس ، تجمعهم جامعة يقومون لها ، وقوم الرجل عصبته ، وهم أقاربه من أبيه ، أو قومه الذين يتعصبون له ، وينصرونه **ب- العنصرية :من العنصر ، وهو الأصل والحسب ، والعصبية تعني تعصب المرء أو الجماعة للجنس**	**هي شعور قوي لدى جماعة بالانتماء إلى آصرة القوم أو العنصر، والاعتزاز بها، ينشأ عنه ولاء وارتباط يتحكم في عقول أفراد هذه الجماعة وسلوكهم؛ بحيث يصبحوا يدا واحدة على من سواهم ، ينتصرون لبعضهم، ويسالمون عليها غيرهم ويعادونهم، ويبنون عليها آراءهم وأفكارهم ومواقفهم ونظام حياتهم .**

- **تاريخ القومية والعنصرية**

- **عرفت المجتمعات البشرية ألوانا من السلوكيات التي احتقرت الإنسان وامتهنته ، نشأت عن عقائد ضالة ، ومذاهب فاسدة ، وأنظمة اجتماعية منحرفة**

1. كان اليونان يقسمون المجتمع إلى طبقات اجتماعية متفاوتة في الحقوق المدنية ، يونان ، وهم : **سكان مدينتي أثينا وإسبارطة ، ولهم جميع الحقوق المدنية** ، وموالي ليس لهم حق في كثير من الحقوق ، **ورقيق محرومون من كل الحقوق** ، كما أن قدماء اليونان كانوا يعتقدون أنهم وحدهم كاملو الإنسانية ، زودوا بقوى العقل والإرادة على حين خلقت الشعوب الأخرى ناقصة الإنسانية
2. اعتز الرومان بأرومتهم ، ورأوا أنهم أرقى أهل الأرض عنصرا ، وأنهم أعظمهم مدنية وثقافة ، **وكانوا يلقبون الشعوب الخاضعة لهم بالبرابرة**، وكان **مبدؤهم يقوم على تقديس الشعب**

الروماني ، وأن الشعوب الأخرى لا تستحق أن تحكم نفسها بنفسها ، وحسبها خدمة العنصر الروماني الرفيع .

3. **اعتقد الأكاسرة ملوك فارس أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكانت الرعية تنظر إليهم على أنهم آلهة، يعتقدون أن في طبيعتهم شيئا علويا مقدسا،** كما كان المجتمع الفارسي طبقيا يصنف الناس على أساس النسب والحرف .
4. خضع المجتمع الهندي آلاف السنين لنظام اجتماعي لم يعرف التاريخ أشد قسوة منه على الإنسان ، **يرتكز على قاعدة المحافظة على السلالة الآرية ونجابتها ، مكونا تفاوتا طبقيا بين أفراد المجتمع الواحد ، متنوعا إلى أربع طبقات ، هي:**

✓ **البراهمة** : وهم طبقة الكهنة ورجال الدين ، ويعتقد أنهم خلقوا من فم الإله.

✓ **الكشتر** : وهم الجند ورجال الحرب ، ويعتقد أنهم خلقوا من ساعد الإله .

✓ **الويش** : وهم أهل الصناعة والتجارة والزراعة ، ويعتقد أنهم خلقوا من فخذ الإله .

✓ **الشودر** : وهم الطبقة الدنيا ، يعملون في خدمة الطبقات السابقة ، ويعتقد أنهم خلقوا من قدم الإله

- **منح هذا النظام الذي وضعته الكتب الدينية الهندوسية طبقة البراهمة امتيازات عجيبة**
- **جعلتهم صفوة الآلهة ،وملوك الخلق ، وسادة الأرض**
- **في حين أهانت طبقة الشودر(المنبوذين)**

5. وزعم اليهود أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة . وأن ما عداهم من البشر ليسوا إلا كالحيوانات ، وإنما خلقوا على صفتهم حتى لا يتوحشون من خدمتهم .

- **جاءت الحركة الصهيونية لتؤكد نظرة اليهود إلى غيرهم من الأمم**
- **هي نظرة ازدراء وكراهية، وتتضح هذه النظرة في استعلائهم عنصريا**
- **الزراية بغيرهم ممن يسمونهم: (الجوييم) أي الأميين**

جاء في البروتوكول الحادي عشر: (إن عقل الأمم – لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة – غير قادر على تحليل أي شيء ، فضلا عن التكهن بما قد يؤدي عليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع في ضوء معين. وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأميين ، وهو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأميين)

6. أن الكتاب المقدس في النصرانية رسم صورة عريضة لحدود طاعة ما يعرف بالعبيد لسادتهم واستجلاب رضاهم، مما يوحي بنظرته للنظام الطبقي المتبع آنذاك ، ويدل كذلك على أن النصرانية اصطبغت بصبغة الرومان ؛

7. عرف العرب في الجاهلية فكرة القومية باسم العصبية؛ فكانت القبيلة أو العشيرة هي الوحدة السياسية والاجتماعية التي يعيش أفرادها في إطارها، وتحت ظلها، ويخلصون الولاء لها، ويخضعون لتقاليدها ، يعبر عن ذلك منطق الشاعر الجاهلي :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

8. **في أوروبا لم تكتمل القومية إلا في القرن الثامن عشر الميلادي** ، بعد أن فقدت الكنيسة الكاثولكية نفوذها على إثر قيام حركة مارتن لوثر الإصلاحية وظهور الكنيسة البروتستانتية المتحررة ؛ حيث تشكلت فكرة القومية على أساس المصالح القومية دون اعتبار للدين في تشريعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

- **تعريف العصبية :**

أ- في اللغة : **من عَصِب القوم به عصبا** : أي اجتمعوا حوله ، وتعني : المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره ، وتلزمه لغرض

ب- في الاصطلاح : **هي رابطة استعلاء تقوم على التعصب الطبقي والعنصري والتميز بين الناس على أساس اللون أو النسب أو الثروة أو الجاه** ، تؤدي إلى إهدار كرامة المخالف والزراية به وسلبه حقوقه الإنسانية أو بعضها. وبهذا المعنى تكون الطبقية والعنصرية من أنواع العصبية التي عرفتها المجتمعات البشرية .

أنواع العصبية :

أ- **عصبية اللون**: تقوم على أساس افتراض وجود دم أزرق نبيل، وآخر دم أحمر وضيع، وعلى تقسيم الناس إلى أقسام حسب لون بشرتهم بيضاء كانت أو سوداء

يقول (شارل دي مونتيسكيو) في كتابه روح القوانين :(وما شعوب أفريقية إلا جماعات سوداء البشرة ، من أخمص القدم إلى قمة الرأس، ذات أنوف فطساء إلى درجة يكاد من المستحيل أن ترثي لها، وحاشا لله ذي الحكمة البالغة أن يكون قد أودع روحا – أو على الأخص روحا طيبة – في جسد حالك السواد).

ب- عصبية الطبقة: تنشأ روابط اجتماعية بين الناس كرابطة الأسرة،

- **تقوم روابط أخرى على أساس التقارب في المراتب والمنازل**
- كانت قريش قبل الإسلام تفرض لنفسها مرتبة خاصة وحقوقا وتقاليد محددة خلاف سائر العرب
- في المجتمع الفارسي تفاوتت الطبقات على اعتبار النسب والحرف
- تمايزت في الهند الطبقات الأربع في الوظائف

- انقسم المجتمع الروماني إلى طبقات ، هي طبقة النبلاء وطبقة رجال الدين وطبقة العامة الذين هم غالب الشعب

ت ـ عصبية القوم والعنصر: تقوم على تفضيل قومية على غيرها، وعنصر من العناصر البشرية على آخر

- **يُزعَم أن هذه القومية أرقى**
- أن هذا العنصر أزكى وأنقى
- عبر **(أرسطو)** عن النزعة العنصرية التي حكمت المجتمع اليوناني.
- **يلتقي الفكر الاستعماري مع النزعة العنصرية التي تزعم تفوق الجنس الآري في الصفات العقلية والروحية، وأنه النبع الأوحد للحضارة**
- إلى هذا الجنس ينحدر المفكرون والمخترعون والعلماء الذين حملوا مشعل الحضارة
- **صدرت مؤلفات لدعم هذه الفكرة، منها كتاب** (عدم المساواة بين الأجناس للكونت جوزيف جوبينو)، **وكتاب** (تاريخ اللغات السامية لأرنست رنان) الذي قرر فيه أن الجنس السامي دون الجنس الآري.

موقف الإسلام من عصبية القومية والعنصرية

- **لا يرفض الإسلام العصبية القائمة على الحق**
- لا يعترض على الانتماء إلى القبيلة لإثبات نسب، أو إلى قومية معينة كوحدة اجتماعية.
- **لا ينفي الإسلام كذلك حق الإنسان في حب وطنه وعشيرته والحنين إليهم**
- **أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في خطابه لمكة، وهو مهاجر منها** : (ما أطيبك من بلد ، وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك).
- **هذا المعنى يجلي موقف الفطرة في محبته صلى الله عليه وسلم لبلده مكة**
- **لا يلغي الإسلام فضل قومية بعينها**
- **كما لا يتنكر الإسلام الأنساب ، فالناس معادن مختلفة ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :** (تجدون الناس معادن ، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)
- **لكنه يحرم التفاخر بها ، والتباهي بمكارم الآباء ؛ فيجعل من كان تقيا غير نسيب أكرم عنده من نسيب فاجر** ، إذ يقول الله تعالى : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**)
- **يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)**

- **أنواع العصبية في الاسلام:**

- **إن العصبية في نظر الإسلام نوعان :**
- **الأولى عصبية ممدوحة، وهي محاماة الإنسان عن قومه إذا كانوا على حق، وهي مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم في** قوله: (خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم)، **وقوله صلى الله عليه وسلم:** (انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قال: يا رسول الله! هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: تأخذ فوق يديه).
- **والأخرى عصبية مذمومة، وكانت معروفة في الجاهلية، تقوم على الفخر بالأنساب، وعَدِّ مآثر الآباء،** وصفها القرآن الكريم بحمية الجاهلية في قوله تعالى: ((**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية**)
- بين الرسول صلى الله عليه وسلم سبب ذمها، وهو محاماة الإنسان عن قومه مع أنهم على ظلم؛ **فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال:** (قلت: يا رسول الله ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم)

- **أبطل الإسلام هذه العصبية لما فيها من تكبر على الناس**
- **أقام مكانها عصبية الانتصار للحق والعدل والإخوة في الدين،** جاعلا معيار التفاضل بين الناس العمل الصالح والعلم النافع ، **قال الرسول صلى الله عليه وسلم:** (إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، **وفاجر شقي، أنتم بني آدم، وآدم من تراب).**
- صارت المكانة المشروعة مشاعة يرتقي إليها كل من كان أهلا لها من أهل العلم والعمل مهما كان نسبه وعنصره ولونه.
- **يقول المؤرخ الفيلسوف (Toynbee) في كتابه: (الحضارة في الامتحان):** (إن القضاء على الفوارق السلالية والعصبيات الجنسية والدموية من أعظم مآثر الإسلام ومفاخره، أما العصر الحالي .... فإن الشعوب الناطقة باللغة الانجليزية قد حققت بعض النجاح في ربط الشعوب بعضها ببعض، وعادت على العالم الإنساني بخير ورحمة، ولكن الحقيقة الراهنة التي يجب الاعتراف بها أنها أخفقت في القضاء على العواطف السلالية والجنسية).